مفتتح

الدِّين والعِلْم في أُفقِ مجتمعِ الانتظار

رئيس التحرير

د.محمد محمود مرتضى

لطالما شكَّلت العلاقة بين الدِّين والعِلْم واحدة من القضايا الإشكاليَّة التي شغلت الفِكر الإنسانيّ؛ حيث طُرحت أسئلة جوهريَّة عن طبيعة هذه العلاقة: هل هما في حالة صِدام دائم، كما تدّعي بعض التيَّارات الفكريَّة، أم أنَّ هناك تكاملاً بينهما يتيح للإنسان تحقيق فَهم أعمق للوجود؟ ولماذا ارتبط الحديث عن العِلْم والدِّين، في كثير من الأحيان، بصراع تاريخيّ، رغم أنَّ الهدف الأسمى لكليهما هو الوصول إلى الحقيقة؟

في السياق الغربيّ، ارتبطت هذه الإشكاليَّة بتاريخ طويل من المواجهة بين المؤسَّسة الدِّينيَّة والعُلَماء؛ حيث كانت الكنيسة في العصور الوُسطى تفرض سلطتها المُطلَقة على المعرفة العِلْميَّة، وتمنع أيَّ بحث يتعارض مع رؤيتها الكونيَّة، ما أدَّى إلى نشوء تصوّرٍ يرى أنَّ العِلْم والدِّين لا يمكن أنْ يلتقيا، بل هما نقيضان متصارعان. غير أنَّ هذه التجربة التاريخيَّة لم تكن بالضرورة قاعدة كونيَّة تنطبق على جميع الأديان، وهنا يُطرح السؤال: هل ينسحب هذا الصراع على الإسلام أيضًا، أم أنَّ العلاقة بين الدِّين والعِلْم في الرؤية الإسلاميَّة مختلفة جذريًّا؟

في القرآن الكريم، لا نجد أيَّ تعارض بين الإيمان بالله والسعي وراء المعرفة العِلْميَّة، بل نجد العكس تمامًا؛ حيث يضع القرآن طَلَب العِلْم باعتباره واجبًا دينيًّا وخُلُقيًّا، ويحثُّ الإنسان على اكتشاف أسرار الكون، والتأمّل في الطبيعة، واستخدام العقل أداةً لفهم آيات الله في الوجود. يقول تعالى: ﴿**قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [يونس: ١٠١].

لا تمثّل هذه الآية مجرّد دعوة للنظر العابر، وإنّما هي أمر إلهيّ بالتأمّل والتفكر والتحليل، ما يعني أنَّ الدِّين يحفّز على العِلْم، ويضعه في إطار مفهوم متكامل للمعرفة؛ حيث يكون العِلْم وسيلة لفهم البنية العميقة للكون وربطها بالحكمة الإلهيَّة.

أوّلًا: الدِّين والعِلْم في الرؤية القرآنيَّة

في الوقت الذي يُنظر فيه إلى العلاقة بين الدِّين والعِلْم على أنَّها علاقة صداميَّة في بعض الفلسفات الحديثة، نجد أنَّ القرآن الكريم يقدّم تصوّرًا مختلفًا تمامًا؛ حيث لا يرى في العِلْم جزءًا من المسار الطبيعي للإنسان نحو معرفة الله. فالقرآن يدمج بين المعرفة الروحيَّة والمعرفة التجريبيَّة في رؤية متكاملة، تجعل من العِلْم وسيلة لفهم النِّظام الإلهيّ في الكون.

ولطالما طرح الفلاسفة والمُفكّرون سؤالًا جوهريًّا: هل الدِّين والعِلْم طريقان متوازيان لا يلتقيان أبدًا؟ أم أنَّ هناك تكاملًا بينهما؟

في الرؤية القرآنيَّة، العِلْم هو وسيلة للتقرّب من الحقيقة الإلهيَّة. يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران: ١٩٠].

إنَّ الآيات الكونيَّة التي يعرضها القرآن هي إشارات عقليَّة تستدعي التفكير والتحليل. وهذا يؤكّد أنَّ القرآن يشجّع الإنسان على البحث والتدبر والتفكّر، مما يدلّ على أنَّ العِلْم والدِّين ليسا نقيضين، وإنّما هما وجهان لمعرفة الحقيقة.

ثانيًا: القرآن الكريم يقدّم نفسه بوصفه مصدرًا للمعرفة، لكن ما نوع هذه المعرفة؟

صحيح أنَّ القرآن لا يقدّم نفسه كتابًا علميًّا بالمعنى التجريبيّ، لكنَّه أيضًا لا يقف موقف العداء من العِلْم، بل هو يوجّه الإنسان نحو البحث والاكتشاف. فهناك نوعان من المعرفة يطرحهما القرآن:

١. المعرفة الغيبيَّة: وهي المعرفة التي تأتي عبر الوحي، وتتعلّق بالمفاهيم الماورائيَّة مثل الحياة بعد الموت، والملائكة، والروح.

٢. المعرفة التجريبيَّة بمعناها العاذم: وهي التي يحصل عليها الإنسان عبر الملاحظة، والتجربة، والاستنتاج العقليّ.

يرى القرآن هذين النوعين أنَّهما مكمّلان لبعضهما بعضًا؛ حيث تحتاج المعرفة التجريبيَّة إلى مرجعيَّة خُلُقيَّة، كما تحتاج المعرفة الغيبيَّة إلى أدوات عقليَّة لفهم أبعادها.

ثالثًا: كيف يربط القرآن بين المعرفة الحسيَّة والمعرفة الإيمانيَّة؟

يمثّل القرآن الكريم رؤية متكاملة للعالَم؛ حيث لا يقوم على العقل وحده، كما في الفلسفات الماديَّة، ولا على الوحي وحده، كما في بعض الاتجاهات الصوفيَّة المُغالية، بل يجمع بين الاثنين في نظام متوازن. يقول الله تعالى: ﴿**وَيَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ [الروم: ٧].

تشير هذه الآية إلى أنَّ الاقتصار على المعرفة الماديَّة وحدها يجعل الإنسان ناقصًا في فَهمِه للوجود، كما أنَّ الاقتصار على البُعد الروحيّ دون الاستفادة من أدوات العِلْم يؤدّي إلى ضعف في بناء الحضارة. ومن هنا، فإنَّ القرآن يدعو إلى تكامل المعرفة الدِّينيَّة والمعرفة العِلْميَّة؛ بحيث يكون الإنسان قادرًا على التمييز بين الظواهر الماديَّة ومعانيها الروحيَّة، وبين الحقائق العِلْميَّة وارتباطها بالنظام الإلهيّ الشامل.

رابعًا: لماذا وقع الغرب في الصدام بين الدِّين والعِلْم؟

حين ننظر إلى التصوّرات الحديثة التي تتحدّث عن صراعٍ بين الدِّين والعِلْم، نجد أنَّها في جوهرها مستمدّة من التجربة الأوروبيَّة التي عاشت صدامًا عنيفًا بين الكنيسة والعُلَماء، ما أدّى إلى ظهور تيّارات فكريَّة تعتبر الدِّين عائقًا أمام التقدّم العِلْميّ. ولكن هل هذا الصراع هو حتميَّة تاريخيَّة تنطبق على كل الأديان، أم أنَّه حالة خاصّة بالسياق الأوروبيّ لا يمكن تعميمها على الإسلام؟

خلال العصور الوسطى، كانت الكنيسة الكاثوليكيَّة تتحكّم في الفكر والمعرفة في أوروبا، وكانت تُفرَض رقابة صارمة على الأبحاث العِلْميَّة التي قد تتعارض مع التفسيرات اللاهوتيَّة الرسميَّة. وكانت هذه السيطرة ناتجة عن تبنّي الكنيسة فلسفة أرسطيَّة ثابتة؛ حيث اعتبرت بعض القضايا العِلْميَّة مثل مركزيَّة الأرض وعدم تحرّكها جزءًا من العقيدة الدِّينيَّة، ما أدّى إلى اضطّهاد العُلَماء الذين طرحوا أفكارًا تخالف هذه النظرة.

ومن أشهر الأمثلة على ذلك:

- اضطّهاد (غاليليو غاليلي-Galileo Galilei) بسبب دعمه لنظريَّة (كوبرنيكوس-Nicolaus Copernicus) بأنَّ الأرض ليست مركز الكون.
- مُحاكمة (جيوردانو برونو-Giordano Bruno) وإعدامه، بسـبب تبنّيه أفكارًا كونيَّة تخالف تعاليم الكنيسة.

هــذا التوتر بين العِلْم والدِّين أدّى إلى تأصيل فكرة أنَّ الكنيسـة تعيق المعرفة العِلْميَّة، ما مهّد الطريق لاحقًا لحركات فكريَّة تدعو إلى فصل الدِّين تمامًا عن الحياة العِلْميَّة والفكريَّة.

ومع دخول أوروبا عصر النهضة، بدأ العُلَماء والمُفكِّرون بالتحرّر من الرقابة الكنسـيَّة، ما أدّى إلى نهضة علميَّة وفلسـفيَّة كبرى. لكن نتيجة للصراع الذي سبق، نشـأت حالة عدائيَّة بين العِلْم والدِّين؛ حيث بدأ يُنظر إلى الدِّين باعتباره بنيَة تقليديَّة جامدة تُعيق التقدّم العِلْميّ، وتمنع حُريَّة البحث والتفكير.

وفي القرنين السـابع والثامن عشر، قاد فلاسـفة مثـل (ديكارت- Descartes)، و(سـبينوزا-Spinoza)، و(روسو-Rousseau)، و(فولتير-Voltaire) موجة من النقد العنيف للسلطة الدِّينيَّة، داعين إلى عقلانيَّة مستقلة عن الدِّين.

وفي القرن التاسع عشر، جاءت نظريَّة (داروين-Charles Darwin) في التطوّر، التي اعتُبرت تحدّيًـا مباشرًا للنصوص الدِّينيَّة في الكتـاب المقدّس، ما زاد من تعميق الهُوَّة بين العِلْم والدِّين في الفكر الأوروبيّ.

أمـا خلال القرن العشريـن، فقد عزَّزت المادّيَّـة الجدليَّة والإلحاد العِلْمي فكرة أنَّ التفسـير العِلْميّ للكون يُغني عن أيِّ تفسير دينيّ، ما أدَّى إلى تصاعد الإلحاد بوصفه ظاهرة فكريَّة متأثّرة بنظريّات علميَّة جديدة.

وبعد قرون مـن الصدام بين الدِّين والعِلـم، أصبحت العَلْمانيَّة في أوروبا بمثابة حلٍّ وسـط يهدف إلى إنهاء هذا النزاع، عبر فصل الدِّين عن المجال العام، ومنع تأثيره على البحث العِلْميّ والسياسات الفكريَّة. وقد حملتْ العَلْمانيَّة ثلاثة مبادئ رئيسة:

- فصـل الدِّين عـن الدولة: بحيث لا تتدخّل المؤسّسـات الدِّينيَّـة في قرارات الحكومات والتعليم.
- حُريَّة البحث العِلْميّ: بحيث لا يكون هنـاك رقابة دينيَّة على الأفكار العِلْميَّة الجديدة.

- اعتماد المنهج المادّيّ والتجريبيّ في دراسة العالَم: ما أدّى إلى استبعاد التفسيرات الدِّينيَّة للظواهر الطبيعيَّة.

لكن هذه الرؤية لم تكن خالية من التحيّز؛ حيث انتقلت من مجرّد فصل الدِّين عن السياسة إلى محاولة إقصاء أيّ بُعد دينيّ من تفسير الواقع، ما أدّى إلى ظهور مدارس فكريَّة ترى أنَّ الدِّين والعِلْم نقيضان لا يمكن أنْ يتكاملا.

خامسًا: اختلاف السياق الإسلاميّ عن السياق الغربيّ

بينما كان الغرب يعيش هذا الصراع بين العِلْم والدِّين، نجد أنَّ التجربة الإسلاميَّة كانت مختلفة تمامًا. ففي الحضارة الإسلاميَّة، لم يكن هناك سلطة دينيَّة كهنوتيَّة تتحكّم في المعرفة، بل كان هناك تداخل بين العُلَماء الشرعيّين والعُلَماء التجريبيين، ما جعل العلوم الإسلاميَّة والطبيعيَّة تتطوّر بشكل متزامن؛ إذ لم تقف النصوص الإسلاميَّة ضدّ الاكتشافات العِلْميَّة، بل إنَّ العُلَماء المسلمين في العصر الذهبيّ دمجوا بين الفلسفة والعِلْم والدِّين في مشاريع فكريَّة متكاملة.

فالقرآن لم يفرض نموذجًا علميًّا محدّدًا للكون، ولم يقدّم فرضيّات علميَّة جامدة، وإنَّما نجد أنَّه دعا إلى البحث والتدبّر دون أنْ يضع حدودًا للمعرفة.

لقد كان العُلَماء المسلمون مثل (ابن الهيثم)، و(الخوارزمي)، و(البيروني)، و(ابن سينا) من روّاد العلوم التجريبيَّة، ولم يُنظر إليهم بوصفهم خارجين عن الدِّين، بل كانوا جزءًا من المنظومة العِلْميَّة الإسلاميَّة.

إنَّ الفكرة القائلة بأنَّ الدِّين والعِلْم لا يمكن أنْ يلتقيا هي نتاج تجربة غربيَّة خاصّة، وليس بالضرورة حقيقة تنطبق على جميع الأديان.

سادسًا: القرآن والعِلْم بين التحفيز والتوجيه

لطالما كان السؤال عن موقف الدِّين من العِلْم محوريًّا في الجدل الفلسفيّ والفكريّ. فبينما يُقدَّم الدِّين أحيانًا على أنَّه قوّة محافظة تحدّ من البحث العِلْميّ، نجد أنَّ القرآن الكريم يقدّم نموذجًا مختلفًا تمامًا؛ حيث يجعل البحث عن المعرفة جزءًا من الهُويَّة الإيمانيَّة للإنسان، بل يعتبر الجهل من أكبر التهديدات التي يمكن أنْ تواجه الأُمَّة. فالقرآن لا يضع حدودًا للعلم، لكنَّه

في الوقت نفسه يوجّهه ليكون أداةً للبناء لا للهدم، وللإصلاح لا للإفساد.

فحين نستعرض الآيات القرآنيَّة التي تتحدَّث عن الكون، والظواهر الطبيعيَّة، والخلق، والحياة، نجد أنَّها دائمًا تتبع منهجًا تحفيزيًّا يدعو الإنسان إلى البحث، لا إلى التسليم الأعمى. فالقرآن لا يقدّم تفسيرات مُغلَقة للظواهر الطبيعيَّة، وإنَّما يدفع الإنسان نحو التأمّل والاستكشاف، واعتبار الكون كتابًا مفتوحًا يستحقّ البحث والتدبّر. يقول الله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**﴾ [الغاشيَّة: ١٧-٢٠]. فهذه الآيات تدعو الإنسان إلى النظر بتمعّن إلى الطبيعة من حوله، والتفكّر في كيفيَّة عمل النظام الكونيّ. فهي لا تقدّم تفسيراً مباشرًا، لكنّها تفتح المجال للعقل الإنسانيّ ليبحث ويدرس ويكتشف بنفسه. وهذا ما يجعل القرآن كتابًا معرفيًّا يدعو إلى إطلاق العنان للعقل كي يبحث عن الحقيقة.

سابعًا: كيف يمنع الدِّين الانحرافات الخُلُقيَّة للعلم؟

رغم أنَّ القرآن يشجّع على البحث العِلْمي، لكنَّه يضع ضوابط خُلُقيَّة لحماية العِلْم من أنْ يتحوّل إلى أداة تدمير. فالقرآن يدرك أنَّ الإنسان، إذا تُرِك دون ضوابط، يمكن أنْ يستخدم العِلْم لأغراض غير خُلُقيَّة، كما حدث في سباق التسلّح النوويّ، والهندسة الوراثيَّة غير خُلُقيَّة، والاستغلال التجاريّ للعلم. يقول الله تعالى: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهذا يضعنا أمام قاعدة مُهمّة: ليس كلّ ما هو ممكن علميًّا، هو مشروع خُلُقيًّا. فالعِلْم قد يتيح للإنسان إجراء تجارب على الأجنّة البشريَّة، أو تطوير أسلحة دمار شامل، أو التحكّم في جينات الإنسان، لكن القرآن يدعو إلى التعامل مع المعرفة بحكمة وأخلاق، كي يكون البحث العِلْميّ في خدمة الإنسان، لا أداةً لإفساده أو استعباده.

ثامنًا: القرآن يجعل العِلْم جزءًا من المشروع الإلهيّ

عند مراجعة النصوص القرآنيَّة، نجد أنَّ القرآن لا يرى العِلْم عدوًّا للدين، بل جزءًا من المشروع الإلهيّ للإنسان في الأرض. فالمعرفة وسيلة لفهم دور الإنسان في الوجود، واكتشاف قوانين الكون، والارتباط بالحكمة الإلهيَّة. وبالتالي، فإنَّ أيَّ حديث عن صراع بين العِلْم والدِّين في

الإسلام هو إسقاطٌ لتجربة غربيَّة خاصّة، وليس حقيقة موضوعيَّة. فالإسلام يجعل التفكّر والتدبّر والبحث العِلْمي جزءًا من العبادة، ويعتبر الجهل والتقليد الأعمى من أخطر ما يمكن أنْ يهدّد الإنسان. ومن هنا، فإنَّ النهضة العِلْميَّة في أيّ مجتمع إسلامي لن تتحقّق إلا إذا استعاد هذا المجتمع رؤية القرآن للعلم، وحرّر العقل من الجمود، وربط بين البحث العِلْمي والأخلاق؛ بحيث يكون العِلْم وسيلة لبناء الحضارة، لا وسيلة لتدميرها.

تاسعًا: التحدّيات المعاصرة للعلاقة بين الدِّين والعِلْم

مع تطوّر العلوم الحديثة، واتّساع آفاق المعرفة البشريَّة، واجهت العلاقة بين الدِّين والعِلْم تحدّيات جديدة لم تكن مطروحة من قبل. فبينما كان الجدل في الماضي عن مدى توافق الحقائق العِلْميَّة مع الرؤى الدِّينيَّة، أصبح السؤال اليوم أكثر تعقيدًا: هل يمكن للعلم أنْ يكون بديلاً عن الدِّين؟ وهل يحتاج العالَم الحديث إلى «قِيَم دينيَّة» لضبط تطوّر العلوم؟

إنَّ هذه التحدّيات لا تقتصر على البُعد الفلسفيّ فحسب، وإنَّما تمتدّ إلى الممارسات الاجتماعيَّة والتطبيقات التكنولوجيَّة؛ حيث أصبح التقدّم العِلْميّ يطرح أسئلة جوهريَّة عن الوجود الإنسانيّ، والأخلاق، والغاية من الحياة، ما يجعل من الضروري إعادة النظر في العلاقة بين الدِّين والعِلْم في العصر الحديث.

عاشرًا: كيف تحوَّلت بعض النظريّات العِلْميَّة إلى أيديولوجيّات إلحاديَّة؟

لقد شهد العصر الحديث انتشار تيّارات فكريَّة تحاول تقديم العِلْم باعتباره بديلاً عن الدِّين، معتبرة أنَّ الاكتشافات العِلْميَّة ألغت الحاجة إلى أيّ تفسير دينيّ للكون. ومن أبرز هذه التيّارات:

- المادِّيَّة العِلْميَّة: التي ترى أنَّ الكون مادّة فقط، وأنَّه لا توجد حقيقة تتجاوز الظواهر الطبيعيَّة.
- الإلحاد العِلْميّ الجديد: الذي يقوده مُفكِّرون مثل (ريتشارد دوكينز-Richard Dawkins) و(ستيفن هوكينغ-Stephen Hawking)، الذين يرون أنَّ العِلْم قادر على تفسير كلِّ شيء دون الحاجة إلى فكرة الخالق.

لكنَّ المشكلة في هذه التيّارات أنَّها تتحول إلى أيديولوجيّات إلحاديَّة تستغلّ العِلْم لتمرير أفكار

مُسبقة. فالعِلْم التجريبيّ لا يستطيع نفي وجود الله أو إثباته، لأنَّه يعمل ضمن إطار دراسة الظواهر الطبيعيَّة، ولا يستطيع الحكم على ما هو خارج نطاق المادّة. يقول الله تعالى في إشارة إلى هذه النزعة الماديَّة: ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ [الروم: ٧].

حادي عشر: نحو تكامل بين الدِّين والعِلْم: رؤيَة مستقبليَّة

بعد استعراض الجوانب المختلفة للعلاقة بين الدِّين والعِلم، يتّضح أنَّ الصراع بينهما هو نتاج ظروف تاريخيَّة وفكريَّة، وأنَّ الإسلام قدّم نموذجًا مختلفًا يقوم على التكامل بين الوحي والعقل، وبين الإيمان والبحث العِلْميّ. ولكن كيف يُمكن اليوم إعادة بناء هذه العلاقة بشكل صحيّ، بحيث يتحوّل الدِّين إلى محفّز للعلم، والعِلْم إلى وسيلة لفهم أعمق للوجود؟

في هذا السياق، لا بدَّ من تقديم رؤيَّة مستقبليَّة تحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- كيف يمكن بناء علاقة صحيَّة بين الدِّين والعِلْم في العصر الحديث؟
- ما الدور الذي يجب أنْ يلعبه كل من العُلَماء الشرعيّين والعُلَماء الطبيعيّين في هذا التكامل؟
- كيف يمكن تجنب الأخطاء السابقة التي أدّت إلى صراع مفتعل بين العِلْم والدِّين؟

إنَّ بناء علاقة متوازنة بين الدِّين والعِلْم يتطلَّب تجاوز بعض المغالطات التي سيطرت على الفكر الحديث، ومنها:

- رفض الفكرة القائلة بأنَّ العِلْم يلغي الحاجة إلى الدِّين:

فالعِلْم يجيب عن أسئلة "كيف؟"، بينما يجيب الدِّين عن أسئلة "لماذا؟"، أي إنَّ العِلْم يفسّر آليَّة الظواهر الطبيعيَّة، لكن المعنى والغايَة من الوجود تبقى ضمن نطاق الدِّين.

- تصحيح فَهْم الدِّين؛ بحيث لا يكون عائقًا أمام البحث العِلْميّ:

لا يجب أنْ يُستخدَم الدِّين بوصفه أداة لمنع التطوّر المعرفيّ، بل يجب أنْ يكون إطارًا خُلُقيًّا وفكريًا يوجّه البحث العِلْميّ نحو ما يخدم الإنسانيَّة، دون أن يقيّد حُريَّة الاكتشاف.

- تربيَة أجيال تفكّر بطريقة متوازنة:

يجب أنْ تكون المناهج التعليميَّة قائمة على التكامل بين المعرفة العِلْميَّة والمعرفة الدِّينيَّة؛

بحيث يتعلّم الجيل الجديد أنَّ الإيمان لا يتناقض مع العقل، وأنَّ البحث العِلْميّ لا يعني رفض الدِّين.

- ضرورة وجود خطاب دينيّ يعترف بالعِلْم دون أنْ يقع في «الماديَّة المطلقة»

وهناك اتجاهان متطرّفان في التعامل مع العِلْم داخل الأوساط الدِّينيَّة:

١. الاتّجاه الأوّل: رفض الاكتشافات العِلْميَّة بحجّة أنَّها تتعارض مع النصوص الدِّينيَّة، وهذا يؤدّي إلى جمود فكريّ يجعل الدِّين في مواجهة غير ضروريَّة مع الحقائق العِلْميَّة.

٢. الاتّجاه الثاني: محاولة تأويل الاكتشافات العِلْميَّة بطريقة متكلّفة لربطها بالنصوص الدِّينيَّة، ما يؤدّي إلى إقحام الدِّين في تفسيرات علميَّة قد تتغيّر لاحقًا.

إنَّ الطريق الصحيح هو الاعتراف بأنَّ العِلْم له مجاله الخاصّ، والدِّين له دوره في تقديم الإطار القِيَميّ والروحيّ، دون الحاجة إلى ليّ النصوص الدِّينيَّة لتتوافق مع كلّ اكتشاف علميّ جديد.

يقول الله تعالى: ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الإسراء: ٨٥].

وهذا يعني أنَّ العِلْم البشريّ محدود بطبيعته، ولا ينبغي أنْ يتحوّل إلى أيديولوجيا تدّعي القدرة على تفسير كلّ شيء بشكل نهائيّ.

إنَّ العلاقة بين الدِّين والعِلْم يجب أنْ تتحوّل من حالة الصراع إلى حالة التكامل؛ بحيث يكون العِلْم أداة للكشف عن سُنَن الله في الكون، ويكون الدِّين المصدر الخُلُقيّ الذي يوجّه هذا العِلْم نحو خدمة البشريَّة لا تدميرها.

ولهذا، يجب العمل على:

- تصحيح المفاهيم الخاطئة التي ترى أنَّ الدِّين ضد العِلْم، أو أنَّ العِلْم يمكن أنْ يلغي الحاجة إلى الدِّين.
- إعادة بناء مناهج التعليم؛ بحيث تعزّز التكامل بين المعرفة العِلْميَّة والفكر الدِّينيّ.
- وضع ضوابط خُلُقيَّة للبحث العِلْميّ مستمدّة من القِيَم الدِّينيَّة، لمنع تحوّل التكنولوجيا إلى أداة للهيمنة والفساد. يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨].

وهـذا يبـينّ أنَّ العَالِم الحقيقيّ هو الذي يرى في اكتشـاف قوانين الكـون طريقًا لفهم أعمق للخالق، وليس وسيلة لإنكار وجوده.

وبالتالي، فإنَّ أيَّ رؤية مستقبليَّة للدّين والعِلْم يجب أنْ تتجاوز عقليَّة الصراع، وتؤسّس لعلاقة قائمة على الاحترام المتبادل، بحيث يكون الإنسـان قادرًا على الاستفادة من العِلْم دون أنْ يفقد بوصلة الإيمان، وقادرًا على فهـم الدِّين دون أنْ يقع في الجمود والرفض غير العقلانيّ للمعرفة الحديثة.

ثاني عشر: الدِّين والعِلْم في أفق المجتمع المَهدَويّ

بناء على كل ما تقدّم، فإنّنا نعتبر أنّ العلاقة بين الدِّين والعِلْم ليست صراعًا، بل تكاملًا يهدف إلى بناء حضارة متوازنة، تجمع بين الروح والعقل، وبين الإيمان والمنهج التجريبي، وبين الغايَة والقانون. فحين يتجـرَّد العِلْم من القِيَم يصبح مجرَّد أداة للهيمنة والتدمير، وحين ينفصل الدِّين عن المعرفة يفقد حيويته في توجيه الإنسان نحو الاكتشاف والرقيّ.

وفي أفق المجتمع المَهدَويّ المنتظر والمُمهّد، تتجلّى ذروة التكامل بين الدِّين والعِلْم؛ حيث يتوقّف العِلْم عن كونه أداة لسيطرة القوى الماديَّة، ويتحوّل إلى رافد لتحرير الإنسان من الجهل والاسـتعباد، في حين يسـتعيد الدِّين دوره بوصفه منظومة قِيَميَّة تدفع البشريَّة نحو الاكتشافات التي تخدم العدل والسلام، لا التسلط والاستغلال.

إنَّ التمهيـد للمجتمع المَهدويَ لا يتحقّق إلّا بإعادة بنـاء العلاقة بين العِلْم والدِّين وفق رؤيَة تؤمن بأنَّ الحقيقة واحدة، وأنَّ العِلْم في جوهره بحثٌ عن سُنَن الله في الكون، والدِّين في عمقه وحيٌ يكشف عن القِيَم التي تحكم هذه السُّنَن. وحين يصل الإنسان إلى هذه الدرجة من الفهم، يصبح العِلْم وسيلة لصياغة حضارة تؤسّس لظهور الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وللمجتمع الذي ستسود فيه الحكمة والمعرفة والعدل.

وعلى أيِّ حـال، يعدُّ هذا العدد من مجلـة «اعتقاد» وقفةً تحليليَّة معمَّقـة يبحث في العلاقة بين الدِّين والعِلْم، والتي هي واحدة من القضايا الإشـكاليَّة التي شغلت الفِكر الإنسانيّ بصورة عامة، بعد قرون مديدة من الصراع بين المؤسَّستين العلميَّة والدِّينيَّة، وانعكاس هذا الصراع على المفكّريـن والباحثـين والعُلَماء، ما أدّى إلى نشـوء تيّارات فكريَّة إمَّا ملحـدة وإمَّا مغالية، دون

الوصول إلى تبيان ما يربط الدِّين والعلم في حقيقة الأمر والواقع، بعيدًا عن التسييس والتوظيفات الأيديولوجيَّة.

يفتتح العدد المتُرجم (د. فراس الحلباوي) الذي قام بترجمة مقالة «المعرفة العلميّة والمعرفة الدينيّـة: التماثـل المنهجي وتبعات ذلك» لـ (شـهرام شـهرياري)؛ حيث يوضِّح كيفيَّة نشـوء المعتقـدات الدينيَّة من فهم النص الدينـيّ متجاوزًا الدلالة الوضعيَّـة للكلمات، للوصول إلى القصد الواقعيّ لصاحب النصّ، وهذه العمليَّة التفسيريَّة الاستنتاجيَّة هي نفسها المعتمدة من قبل العلوم التجريبيَّة. أما (الشيخ سامر عجمي) فيجيب في بحثه «المنهج العلمي التجريبي والإيمان بالله مقاربة فلسفيّة في ضوء أطروحتي (الصدر) و(مطهري)»، عن سؤال أشكاليّ، مفاده: إذا كنّا بصددِ دراسـةِ موضوعٍ يرتبطُ بعالمِ الغيب وما وراءَ الطبيعةِ والمادةِ، هل يصلحُ معرفيًّا استعمالُ المنهجِ التجريبيِّ القائمِ على أساسِ مقدِّمات حسيّة؟!

فيما يقدِّم الأستاذ (د. سـيد زهير المسيلينى) بحثًا تأصيليًّا في "التكامل بين الدين والعلم في فكر أهـل البيت ﰅ -رؤية تحليلية-" في ضوءِ ما وَرَدَ عنهم مـن نُصوصٍ وروايات؛ حيث يُبيِّنُ البحثُ أنّ أهلَ البيتِ ﰅ قدّموا نمَوذجًا فَريدًا يُعلي من شـأنِ العِلم، ويَجعلهُ طريقًا للتّقرُّبِ إلى اللهِ تعالى. أما (الشـيخ حسـين السعلوك)، فيبحث في دراسـته « الدِّينُ بينَ رَيبِ النّسبيَّةِ ويقينِ العِلم مقاربةٌ نقديَّةٌ فلسفيَّة-" حقيقةَ التّأثيرِ الذي يمكنُ لنظريَّةِ النّسبيَّةِ أن تفرضَهُ على عُنوانِ الدّين، وذلكَ من خلالِ اسـتعراضِ النظريَّةِ أوّلًا، واسـتعراضِ أثَرِها على الدّين ثانيًا، ثُـمَّ النَّقدِ عليها، بالاستنادِ إلى مُنجزاتِ الفلاسفةِ المسلمينَ فيما يخصُّ حقلَ المعرفةِ البشريَّة.

وفي مجال تقويم السلوك العلميّ التجريبيّ على مستوى القِيَم والأخلاق؛ يناقش (د. محمد عبـد الحفيـظ) في بحثه «أزمة الأخـلاق في العلم الحديث: نحو نمـوذج تكاملي بين المنظور العلمي والرؤى الدينية» أبعادَ الأزْمةِ الخُلُقيَّةِ التي تُواجهُ (العِلْمَ الحديثَ)، من خلالِ استحضارِ إمكانيةِ التّكامُلِ المعرفيِّ والقِيَميِّ بين (العِلمِ) و(الدِّين). أما باب دراسات وبحوث، فيكتب فيه الباحث (مهدي غلشني) بترجمة (د. فراس الحلباوي) بحثاً بعنوان: «أصالة الروح: إطلالة على رؤى القرآن والفلاسـفة المسـلمين وعلماء الغرب المعاصرين»، يستعرض فيه بعضَ التطوّراتِ الحديثةِ والمقارباتِ المختلفةِ لمسـألةِ الوعي والروحِ، من منظورِ حكماءِ (الإسـلامِ) والعلماءِ (الغربيينَ) المعاصرينَ.

ويُختتم العدد بقراءة لكتاب "العِلمُ فِي إطَارِ الدِّين -آراءٌ ومُلاحظاتٌ عن دَيْنَنة العُلوم-"؛ حيث بيَّن (نبيل علي صالح) ما يتناوله الكتاب من البحث عن طبيعة العلاقة القائمة بين العلم والدين، والسعي إلى تحليل إمكانية وجود علم منبثق من الرؤية الدينية، خاصة في المجتمعات الإسلامية. كما بيَّن لنا أنَّ مؤلِّفي هذا الكتاب حاولوا تقديمَ تأطيرٍ معرفي جديد حولَ طبيعة العَلاقة المُلتبسة بين العلم والدين، وإعادة ضبط مساراتها وسبلها.

وأخيراً، نسأل الله العزيز القدير، أنْ ينال هذا العدد من المجلَّة استحسانَ القرَّاء، وأن يكون رافدًا للمكتبة العربية، ولكلِّ مهتمٍّ بمتابعة العلاقة بين العلم والدين وما يترتَّب عليها من آثار ونتائج على مستوى فلسفة الدين والكلام المعاصر.

والحمدُ لله أوَّلاً وآخِرًا

رئيس التحرير